

[المقامة النادية]

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ (١٤٣٩) وفي أحد أيام شهر ربيع الأول، ابْتُلِيَتِ الأُمَّةُ ببلاءٍ وليس بلاءها الأول، إذ قام العجلُ الأمريكي أبو تَبَاب، بإعلان القدس عاصمةً لدولة الكلاب، وكانت أمةُ الإسلام حينها، تموجُ أمواجُ الفتن بينها، ترمي أبناءها ذاتَ اليمين وذات الشمال، وقامت بينهم الحروب والحربُ سجال، ولكنها كانت يوماً عليهم .. يوماً عليهم!

حدثَ حينها أبو النِّقَال، بوصفٍ جامعٍ فقال: استيقظتُ يومها على صدى الأخبار، فوقعتُ في قلبي وقوعَ الجمار، فأسرعتُ بالخروج من الدار، قاصداً رِوَاةَ الأخبار، والناس يخوضون فيها ذاك النهار، خوضَ السفن في عباب البحار، ويتقنصونها تقنصَ البازي للأوكار، فأدركتهم وهم في النادي جلوس، تتوسطهم الصحيفة كالعروس، يتجاذبونها من أطرافها، وينتقلون بين إسفافها وإرجافها، فإن نبات صدقوا أنباءها، وإن أفتت باركوا إفتاءها، فقلتُ هم القوم لا تسبقهم حادثة، ولا تمرّ خلف دارهم كارثة، فناشدتهم من بعد السلام، أن فقهوني بأحلى الكلام..

فرد أبو الشَّنب الفهمان، وكان أقربَ للجن منه للإنسان، حنبلاً دحاح، يتشاوب كالتمساح، يتكى على بطنه، اتكاء البعير على عطنه: اجلسْ نحدثك بما صار، وما سار ذكره في البلدان والأمصار، لقد سمعنا ما انطلق من البيت الأبيض، من قرار قهري يُفرض، ومن يملك للأمرىكان رداً، ومن ذا الذي ينكت لهم عهداً، هم الأسياد الكبار، ونحن الأتباع الصغار، هم القوة والشدة، ونحن الضعف والرعدة، ألا تعلم! إن فيهم السوبر مان، رجل يطير كالكروان! وفيهم رجل وطواط كأنه الخنّاس، ينقذهم إذا اشتدَّ الليل الأليلُ العمساس، إنهم يسمعون حديثنا الآن، بل يقرؤون معنا هذا العنوان، "أبو تباب يعلنُ القدسَ عاصمةً لإسرائيل" فهل بعد إعلانهم من قال وقيل؟ لقد حكموا أمرهم، وأمضوا فرضهم، وما علينا إلا التسليم والسكوت، والنكاح والنوم وأكل القوت.

ثم -تتمسح- وهفت، وتشاوب وسكت!

فنطق أبو حزب المربّع، مشيراً بأربع: اعلّموا جيّدا ما سأقول، وافتحوا لي القلوب وأغلقوا العقول، لأنّ قولِي قولٌ حق عليه لا يُعلى، إذ هو قولُ إمامي المرشد الأعلى، إنّ سببَ قرار أبي تباب، وسببُ هذا الجور والخراب، وسببُ القحط وجفاف التراب، وسببُ ارتفاع سعر الكباب: السعودية السعودية، تلك الدولة الشقية، التي أعطت الأموال للأعداء، ومزّقت حزبي إلى أشلاء، وهي سببُ الأمراض والأدواء، وضعفُ الطبِّ والدواء، واختفاءُ البازلاء والقثاء، ومشاكلُ القولون والأمعاء، هي السبب في ضياع فلسطين، التي يدافع عنها حزبي منذ سنين، والدليل أننا أعلينا رايةً مجدها، وقتلنا في سبيلِ عزّها، كيت وكيت، من جنود الطواغيت،

بأرض سيناء، فله درنا من عظماء، فالموت للأمريكان، والمجد لإيران، عفوا عفوا.. المجد لفلسطين، المجد لفلسطين

فقاطعه أبو البرال: مالكم يا جهال؟ ما تريدون من سيدي أبي تباب؟ ومن قراره الحضاري الصواب؟ أما زلتم تتحدثون باسم الإسلام؟ وسيدي الغربي تقدم للأمام! انزعوا عنكم هذا التخلف، وهذا الدين والتطرف، إن السبب وراء ضعفكم وهوانكم، لحى رجالكم وجلايب نساءكم، دعوكم من الكتب والدفاتر، وتابعوا برنامج الخواطر، انظروا إلى أوروبا المزدهرة، وطرقاتها البهيجة المزهرة، وأخلاقها الحميدة المجيدة، وحياتها الفنية السعيدة، لغتها خير من لغتكم، وأعيادها أبهى من أعيادكم، حتى أبغارها! أسمع من أبغاركم، لأن أفكارها أرقى من أفكاركم، إن سيدي الغربي وصل لذلك لأنه عرى زوجته وأعطاه القيادة، وحرر أبنته .. فنعم الزيادة، دعوا فلسطين لقرار أسيادي، وهات الكمنجة والعود يا صاحب النادي، ولنلحق بهذا الزاد ركب الحضارة، ولترضى عنا اليهود والنصارى.

قال أبو النقال: نعوذ بالله من الخبال، مازال أهل المجلس يتداولون الجدل، حتى كاد يشب بينهم القتال، لولا أن مر علينا أبو البيان، عليه قلنسوة كأجمل التيجان، فناديته فمال، وسلم وقال: ما خطبكم؟ وما أمركم؟ إن التنازع أمر مشين، وسلوك مهين، ما هذا إلا حال البطالين، الضعاف الفارغين، يجتمعون على العناوين، ثم يتفرقون عنها كالمجانين! لعمري إن هذا لمن أسباب نزول العقاب، وحلول الهوان والخراب، وتأخر التمكن والنصر، والذي أقسم بالعصر، فحدثني يا أبا النقال، عن باعث هذا السجال.

فذكرت له زبدة الحديث، بقول مفصل حثيث، فجلس أبو البيان: وقال باسم الله الرحمن، ألا إنكم ترسمون صورة الأمة في كل مكان، بعد أن باينت السنة والقرآن، ولو عدتم لكتاب ربكم، وسنة نبيكم، لوجدتم الحل واضحا، بين المعالم لائحا، إن السبب فيكم، ومنكم وإليكم، قال ربنا:

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}

لقد سن الله لكم النظر في سير الأولين والآخرين؛ لمعرفة أسباب النصر والتمكين، وأسباب الفشل والهزيمة، وخبو الهمة والعزيمة، لهذا .. حين سأل المسلمون بعد هزيمة أحد: أتى هذا؟ جاءهم الجواب، في فصل الخطاب: {قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

إن ما أنتم فيه من هوان، صوركم بلا شك ولا نكران، وما تسلط عليكم الأمريكان، إلا لما خبت فيكم جذوة الإيمان، وما ابتليتكم بجور الحكام، إلا بعد أن بدلتكم الأحكام، فخلطتم حراما بحلال وحلالا بحرام، فخدأكم والله أعمالكم، وكيف ما تكونوا يوئى عليكم، وما تفرقتم بددا، طرائق قديدا، إلا بعد استدبار الآثار السديدة، وإرخاء جبل العقيدة، وتقديم آراء الرجال، واتباع أحزاب الخبال،

قال تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}

فاعتصمتم بحبل السياسة، وطرقتم باب الرئاسة، وانتخبتم من بعد المظاهرات، وتظاهرتن من بعد الانتخابات، لعمري إنكم لفي أمرٍ مريع، منهتك النسيج! اعلّموا أنكم لن تصلّوا في المسجد الأقصى، حتى تصلّوا في المسجد الأدنى، ولن تشرق شمسُ نصركم ومجدكم، حتى تصلّوا الفجرَ قبل شروق شمسكم، ولن تُزيلوا دولة الكلاب، حتى تُزيلوا الأضرحة والقباب، إن تنصروا الله ينصركم، وإن تشركوا به يخذلكم، ولا تنتظروا تزكية عدوكم نهارة، فلن ترضى عنكم اليهود والنصارى.

عودوا إلى كتاب ربكم، وسنة نبيكم، ونهج أبي بكر وعمر وعثمان، لا نهج عبّاد النار والأحجار والصّلبان.

أزيلوا عن أمتكم عباءتها الفضيعة، وألبسوها حلتها البديعة، بدءاً من أنفسكم في هذا النادي، إلى المدن والقرى والبوادي، وتعلموا أنه إذا تثقّفت العقول، وارتوت بصحيح المنقول والمعقول، لا تضرّها البطون الطاوية، ولا الجيوب الخاوية..

وَمَنْ يَجِدِ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي

فَلَا يَذُرُ الْمَطْيَ بِلَا سَنَامٍ

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا

كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

والعبرة بالختم، فعليكم بالعمل من بعد السلام.

بقلم:

عماد الدين علي